نفس الحي به وللقلب لانه محل الروح ومتعلقه وللامرلات قوامها به وللماء لفرط حاجتها اليه والذي في قولهم
فلان يؤامر نفسه لانه ينبعث عنها او ينبهه ذاتا تأمره وتشير عليه والمراد بالانفس هٰهنا ذواتهم و
يحتمل حملها على ارواحهم وآرائهم وَمَا يَشْعُرُونَ لا يحسون ذلك لتمادي غفلتهم جعل لحوق وبال الخداع
ورجوع ضرره اليهم في الظهور كالمحسوس الذي لا يخفى الا على مئوف الحواس والشعور الاحساس ومشاعر
الانسان حواسه واصله الشعر ومنه الشعار فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ فَزَادَهُمُ اللَّهُ مَرَضًا المرض حقيقة فيما يعرض
البدن فيخرجه عن الاعتدال الخاص به ويوجب الخلل في افعاله ومجاز في الاعراض النفسانية التي تخل بكمالها
كالجهل وسوء العقيدة والحسد والضغينة وحب المعاصي لانها مانعة عن نيل الفضائل او مؤدية
الى زوال الحيوة الحقيقية الابدية والاية تحتملهما فان قلوبهم كانت متألمة تحرقا على ما فات عنهم من الرياسة
وحسدا على ما يرون من ثبات امر الرسول صلى الله عليه وسلم واستعلاء شانه يوما فيوما فزاد الله غمهم
بما زاد في اعلاء امره واشادة ذكره ونفوسهم كانت مئوفة بالكفر وسوء الاعتقاد ومعاداة النبي صلى
الله عليه وسلم ونحوها فزاد الله ذلك بالطبع او بازدياد التكليف وتكرير الوحي وتضاعف النصر وكان
اسناد الزيادة الى الله تعالى من حيث انه مسبب من فعله واسنادها الى السورة في قوله تعالى فزادتهم رجسا
لكونها سببا ويحتمل ان يراد بالمرض ما تداخل قلوبهم من الجبن والخور حين شاهدوا شوكة المسلمين وامداد الله
تعالى لهم بالملائكة وقذف الرعب في قلوبهم وبزيادته تضعيفه بما زاد لرسوله صلى الله عليه وسلم نصرة على الاعداء
وتبسطا في البلاد. وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ اي مؤلم يقال ألم فهو أليم كوجع فهو وجيع وصف به العذاب للمبالغة
كقوله تحية بينهم ضرب وجيع على طريقة قولهم جد جده بِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ
قراءة عاصم وحمزة والكسائي والمعنى بسبب كذبهم او ببدله جزاء لهم وهو قولهم آمنا وقرأ الباقون
يُكَذِّبُونَ من كذبه لانهم يكذبون الرسول عليه السلام بقلوبهم واذا خلوا الى شياطينهم او من كذب الذي
هو للمبالغة او التكثير مثل بين الشيء وموتت البهائم او من كذب الوحشي اذا جرى شوطا ووقف لينظر ما
وراءه فان المنافق متحير متردد والكذب هو الخبر عن الشيء على خلاف ما هو به وهو حرام كله لانه علل به استحقاق
العذاب حيث رتب عليه وما روي ان ابراهيم عليه السلام كذب ثلاث كذبات فالمراد التعريض ولكن لما شابه
الكذب في صورته سمي به وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ عطف على يكذبون او يقول وما روي عن سلمان رضي
الله عنه ان اهل هذه الاية لم يأتوا بعد فلعله اراد به ان اهله ليس الذين كانوا فقط بل وسيكون من بعد من
حاله حالهم لان الاية متصلة بما قبلها بالضمير الذي فيها والفساد خروج الشيء عن الاعتدال والصلاح ضده
وكلاهما يعمان كل ضار ونافع وكان من فسادهم في الارض هيج الحروب والفتن بمخادعة المسلمين وممالاة الكفار
عليهم بافشاء الاسرار اليهم فان ذلك يؤدي الى فساد ما في الارض من الناس والدواب والحرث ومنه اظهار
المعاصي والاهانة بالدين فان الاخلال بالشرائع والاعراض عنها مما يوجب الهرج والمرج ويخل بنظام العالم
والقائل هو الله تعالى او الرسول صلى الله عليه وسلم او بعض المؤمنين وقرأ الكسائي وهشام قيل باشمام الضم الاول
قَالُوا إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ جواب لاذا ورد للناصح على سبيل المبالغة والمعنى انه لا يصح مخاطبتنا بذلك فان شأننا

ليس الا

ليس الا الاصلاح وان حالنا متمحضة عن شوائب الفساد لان انما يفيد قصر ما دخله على ما بعده مثل انما
زيد منطلق وانما ينطلق زيد وانما قالوا ذلك لانهم تصوروا الفساد بصورة الصلاح لما في قلوبهم من المرض
كما قال تعالى افمن زين له سوء عمله فرآه حسنا. أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ الْمُفْسِدُونَ وَلَٰكِن لَّا يَشْعُرُونَ رد لما ادعوه
ابلغ رد للاستيناف به وتصديره بحرفي التوكيد الا المنبهة على تحقق ما بعدها فان همزة الاستفهام (هم)
التي للانكار اذا دخلت على النفي افادت تحقيقا ونظيره اليس ذلك بقادر ولذلك لا تقع الجملة بعدها الا
مصدرة بما يتلقى به القسم واختها اما التي هي من طلائع القسم وان المقررة للنسبة وتعريف الخبر وتوسيط
الفصل لرد ما في قولهم انما نحن مصلحون من التعريض للمؤمنين والاستدراك بلا يشعرون وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ
آمِنُوا من تمام النصح والارشاد فان كمال الايمان بمجموع امرين الاعراض عما لا ينبغي وهو المقصود بقوله
لا تفسدوا والاتيان بما ينبغي وهو المطلوب بقوله آمِنُوا كَمَا آمَنَ النَّاسُ في حيز النصب على المصدر وما مصدرية
او كافة مثلها في ربما. واللام في الناس للجنس والمراد به الكاملون في الانسانية العاملون بقضية
العقل فان اسم الجنس كما يستعمل لمسماه مطلقا يستعمل لما يستجمع المعاني المخصوصة به والمقصودة منه ولذلك
يسلب عن غيره فيقال زيد ليس بانسان ومن هذا الباب قوله تعالى صم بكم ونحوه وقد جمعهما الشاعر
في قوله

اذ الناس ناس والزمان زمان

او للعهد والمراد به الرسول صلى الله عليه وسلم ومن معه او من آمن من اهل جلدتهم كابن سلام واصحابه والمعنى
آمنوا ايمانا مقرونا بالاخلاص متمحضا عن شوائب النفاق مماثلا لايمانهم واستدل به على قبول توبة
الزنديق وان الاقرار باللسان ايمان والا لم يفد التقييد قَالُوا أَنُؤْمِنُ كَمَا آمَنَ السُّفَهَاءُ الهمزة فيه للانكار
واللام مشار بها الى الناس او الجنس باسره وهم مندرجون فيه على زعمهم وانما سفهوهم لاعتقادهم
فساد رأيهم او لتحقير شأنهم فان اكثر المؤمنين كانوا فقراء ومنهم موال كصهيب وبلال او للتجلد وعدم
المبالاة بمن آمن منهم ان فسر الناس بعبد الله بن سلام واشياعه والسفه خفة وسخافة رأي يقتضيهما
نقصان العقل والحلم يقابله أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ السُّفَهَاءُ وَلَٰكِن لَّا يَعْلَمُونَ رد ومبالغة في تجهيلهم فان الجاهل بجهله
الجازم على خلاف ما هو الواقع اعظم ضلالة واتم جهالة من المتوقف المعترف بجهله فانه ربما يعذر وتنفعه
الايات والنذر وانما فصلت الاية بلا يعلمون والتي قبلها بلا يشعرون لانه اكثر طباقا لذكر السفه ولان
الوقوف على امر الدين والتمييز بين الحق والباطل مما يفتقر الى نظر وفكر واما النفاق وما فيه من الفتن والفساد
فانما يدرك بادنى تفطن وتأمل فيما يشاهد من اقوالهم وافعالهم. وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ آمَنُوا قَالُوا آمَنَّا بيان
لمعاملتهم المؤمنين والكفار وما صدرت به القصة فمساقه لبيان مذهبهم وتمهيد نفاقهم فليس بتكرير
روي ان ابن ابي واصحابه استقبلهم نفر من الصحابة فقال لقومه انظروا كيف ارد هؤلاء السفهاء عنكم
فاخذ بيد ابي بكر رضي الله عنه فقال مرحبا بالصديق سيد بني تيم وشيخ الاسلام وثاني رسول الله في
الغار الباذل نفسه وماله لرسول الله ثم اخذ بيد عمر رضي الله عنه فقال مرحبا بسيد بني عدي الفاروق
القوي في دينه الباذل نفسه وماله لرسول الله ثم اخذ بيد علي رضي الله عنه فقال مرحبا بابن عم رسول

Copyright © King Saud University